الخطبة والخطباء

الخطبة درس يتلقى فيه الناس مكارم الاخلاق ومنه يتعلمون المحامد والفضائل ويلقنون الرشد ويمحضون الهداية ويدعون الي ما فيه صلاحهم وينهون عما من شأنه أن يودي بهم أو يشينهم فى دينهم ويحذرون عن النقائص والرذائل والتخاذل والاختلاف ويؤيد لهم فيه بدليل من الحديث نفع مايدعون اليه وضرر ماينهون عنه واذا فشت فيهم بدعة دعوا الي الاقلاع عنها بعد أن يبين لهم وجه الضرر في العمل بها واذا تركوا سنة أمروا بالرجوع لها بعد أن يفهمزا مايترتب على تركها واذا نزل بهم من الحوادث مالم يكن لهم من قبل عهد به وجدوا في الخطبة هاديا لهذا الطارىء ليكشف لهم عن خافيه فتزول حيرتهم فيه بايراد ماجاء في السنة أو الكتاب للوقاية من شره وكشف ضره

وكلما كان موضوع الخطبة من الامور الراهنة والمسائل الحاضرة كانت أوفى بحاجات الناس وأبلغ فى نفع الخلق وأنسب لمقتضيات الزمان وأوفق لدواعي المقام واذا روعي فى المواضيع الالزم فالالزم كان النفع أعظم وأتم ألا ترى أن خطب النبي صلي الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين كانت على حسب الوقائع والمناسبات وما يقال اليوم غير ما قيل فى اليوم الذى فات ولا يخطب غداً بشيء من الخطب الماضيات. تصفح نهج البلاغة مستودع خطب سيدنا الامام على كرم الله وجهه تر فيها الخطب دائرة على مواضيع شتي تبعا للضرورات ولا ترى فيها أثرا للاعادة الملة وتحر تجد أنها ليست كخطبنا الدورية التي أصبحت ليس فيها لمستهل المحرم من العام الجديد الا الذى قيل فى مستهل المحرم من العام الماضي وهو هو

كل ما أعد لمستهل المحرم فى العام التالى لاتختلف باختلاف السنين بل القرون ولا تتفاوت بتفاوت الحاجات وتغير المناسبات حتى كانها منسوجة على منوال الدور والتسلسل . وكلما كانت الخطبة جديدة كان الشوق الى سماعها عظيما والاقبال على حضورها عميما ألا ترى كيف هرع الناس زمرا وجماعات الي مسجد سيدى أبى العلا الحسيني والمشهد الزينبي والمشهد الحسينى يوم خطبهم فيها الشيخ يحيى خطيب الحرم المدني بحيث انساق الي الصلاة بدافع الشوق الي الخطبة من لم يكن ليسعى اليها لو نقدته على حضورها أجرا

ومن المرغبات فى الخطبة ارتجال الخطيب لمقاله فان في ذلك حذوا على مثال السلف الصالح فضلا عن كونه أوقع فى نفوس المصلين

ومما هو جدير بالمراعاة فى الخطب أن تؤدي بعبارة سهلة يفهمها الخواص والعوام ويفطنون لما يقصد فيها من حض وتحذير . اذ الخطبة باللغة العالية لايكاد يفهمها من العوام أحد بل ربما ظنوا ان كلام الخطيب موجه الي غيرهم ممن سبقهم . وانها لاتتلي عليهم الآن الا تعبدا

أسوق هذه العبارة لانى حضرت في أحد مساجد القاهرة يوم عيد الفطر خطبة جديرة بان تضرب مثلا للخطب القويمة المرعى فيها مقتضي المقام الكافلة بسد حاجات الوقت الحاضر وهى

(الله أكبر تسعا)

الحمدلله نحمده ونستعينه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ونسأله أن يؤلف بين قلوبنا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه . أما بعد فياعباد الله ان لله عليكم نعما لاتحصي ومننا لا تستقصي يرشدكم الى ذلك قول

الحليم الغفار (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) فيجب عليكم أن تقابلوا نعمة مولاكم بالشكر والطاعة وان مما سن الله لكم وجعله أساسا لنجاحكم ان تأتلف قلوبكم لتتعاونوا على البر والتقوى وجعل ذلك من نظامات الاسلام الكبري فان المسلمين اذا تنافروا حقت عليهم كلمة الهوان وسلط عليهم من يعاملهم بالاحتقار والامتهان عباد الله ان هذا يوم سن الله لكم فيه الاجتماع والاتحاد ليزول ما في قلوبكم من الشقاق والفساد فتتجهون اليه وقلوبكم نقية ونفوسكم طاهرة زكية عباد الله لا يحسن بكم وأنتم الذين سماكم الله المسلمين وفضلكم على كثير من العالمين ان تكونوا متنافرين أو متحاسدين أو متباغضين من منكم نقي قلبه في هذا اليوم لله فقام بشكره وارضاه من منكم أعان على البر أخاه الا تعلمون ان دينكم يأمر بمكارم الاخلاق وينهى عن الشقاق والنفاق فلماذا تركتم هذه المكارم لغيركم وجعلتم بذلك الحجة عليكم لخصمائكم حتى نسبوا تأخركم الى الدين وقصوره وعدم صلاحيته وخبو نوره أرضيتم بهذه المذمة لدينكم فتركتم العمل الصالح لغيركم أم شككتم في انه من عند ربكم كلما دعاكم داع الي الخير وأمركم بالمعروف ونهاكم عن المنكر قابلتموه بالاغضاء حتى استفحل الداء وعز الدواء ان لكم في هذا اليوم فرصة تقومون فيها بشكر مولاكم علي ما خولكم وأعطاكم فنقوا قلوبكم من الاعتماد على غير الله واثقين انه لا يمنح الخير سواه عباد الله بماذا تعتذرون الي ربكم وقد بين لكم طريق الصواب ووعدكم على العمل الصالح حسن الجزاء وعلى غيره شديد العقاب أتقولون ان من أرسلته لم يبلغ الرسالة كما أمرته حاشا لله والله لقد بلغ ما أنزل اليه فعلمكم صلاح دنياكم ومابه حسن الجزاء في آخرتكم وها كتاب الله بينكم يقول «انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم»

ويقول « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وهاسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تناديكم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وتقول « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » وتقول « الدين النصيحة قيل لمن يارسول الله قال لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم » أم تقولون ان علماءنا كتموا الدين عنا فلم نجد هاديا يبين لنا سنة الدين ولا مرشدا يأخذ بأيدينا لاتباع سلفنا الصالح من المؤمنين فها أنا أدعوكم لما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخوة والاتحاد والسير فى طريق السداد والاجتهاد فى نصر دين الله والنشاط فى العمل والانتباه وعدم الاشتغال بسفاسف الامور والبعد عن الكسل والقصور لتبلغوا درجة الكمال وتصلوا الي ماوصلوا اليه من حسن الحال وتباروا الامم التى ظنت فيكم عدم النجاح واعتقدوا بعدكم عن الخير والفلاح عباد الله لاتنسوا الفقراء فان لهم حقا فيما بأيديكم من مال الله الذى أعطاكم وايا كم والشح والحرص فانهما دغل فى الدين يؤخرانكم عمن سواكم وأدوا فى هذا اليوم زكاة فطركم متقربين بها الى ربكم

ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأولئك عند الله هم الفائزون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا اه

فليتنا نتنبه لهذا الأمر ونقتدى بالخطيب فنوفي الخطبة حقها ونعمل على أبطال عادة الاعادة التى أصبح الناس معها حافظين لقوله وأكثرهم يسبقونه فيه ولو سرا وبعضهم ينامون من الملل لطول الخطاب